مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧١/١١/٥

بصراحة

يكتبها محمد حسنين هيكل

[١] أحـــاديث الســـفر

تســاؤلات عن موقف مصر

عـــدت قبل أيام من ســـفرة طالت ثلاثة اســـابيع ، قصرتها هـــذه المرة على دولتين اثنتين : المانيا الغربية وبريطانيا

ولم يكن هنـــاك هدف محدد اقصده من السفر ، ولكن كانت هناك عوامل متعددة اغرتنى به :

□ **أولها** احســـاس بارهاق شديد بعد ستة شهور من الجهد المكثف اتممت فيها ـــ الى جانب عملى العادى فى « الاهرام » ـــ كتابا عن جمـــال عبـــد الناصر وعلاقته ببعض المعالقة فى عصره وصل حجمه الى مائة وخمسين الف كلمة

□ **وثانيها** ان الشهر الاخير فى مصر كان فترة استكشـــاف وراء الحدود قبل أيام فاصلة من التاريخ المصرى قـــادمة ، وقد تمثلت فترة الاستكشاف بالدرجة الاولى فى رحلات قام بها الرئيس انور السادات الى عواصم عدة كانت اهمها موسكو ومحادثاتها ذات القيمة البارزة ومن هنـــا فان القـــاهـــرة كانت هـــادئة ساكنة .. ولعله هدوء وسكون ما قبل العاصفة

□ **وثالثها** أن العالم الخارجى كان حافلا بمتغيرات هائلة تعكس والى حد كبير ، ظهور خريطة سياســـية جديدة على اتســـاع المجـــال الدولى ، وكانت آخـــر ظواهر هذه المتغيرات ظاهرتين :

دخول الصين الشـــعبية الى الامم المتحدة ، وهو أهم حدث فى تاريخ هذه المنظمـــة منذ اعلان ميثاقها سنة ١٩٤٥ .

ثم دخول بريطانيا الى السوق الاوربية المشتركة وبالتالى انضمامها الى اوربا واقعا وقدراوهو اهم حدث فى التاريخ الاوربى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

والمتغيرات الكبرى لا يكتفى فيها بالمراقبة عن بعد وانما السبيل الى الاحساس بها هو لمس النبض مباشرة

□ **ورابعها** ولعله اهمها هو الاحساس بالحاجة الى مناقشات فى دوائر جديدة ـ او متجددة ـ للحوار ولقد وجدت نفسى خلال ثلاثة اسابيع متصلة اسمع واقول، ولا اكف عن السماع والقول من لحظة نزولى من الطائرة فى ميونيخ قادما من القاهرة ، حتى لحظة صعودى الى الطائرة فى لندن عائدا الى القاهرة ... حوار لم ينقطع ، فى مكاتب ساسة كبار ، وصحف شهيرة ، وجامعات عريقة ، ومعاهد للدراسات السياسية والاستراتيجية

وفى هذه السلسلة من المقالات عن « احاديث السفر » ـ فانى سوف ابدأ بالاقرب منا فهو الاولى بالمعروف على افتراض ان الحديث عنه معروف يسدى اليه!

وعن الاقرب منا فلقد كانت هناك مجموعة اسئلة تتردد دائما حول موقف مصر ، وينبغى ان نعترف ان الدعايات الاسرائيلية والامريكية لم تقصر فى هذا الصدد عن محاولة خلق انطباعات معينة هى فى ظنى خطأ من الاساس ، كما ان تركها معلقة جريمة لا يغتفر ازاءها السكوت.

تقول هذه الاسئلة عن مصر ومن وحى تلك الانطباعات الاسرائيلية الامريكية بما يلى :

□ هـل ان مصر الان على استعداد لقبول اى حل ؟

□ هل ان شعب مصر ليس على استعداد لمواجهة الخطر ؟

□ هل ان جيش مصر غير جاهز لقبول تحدى القتال ؟

□ هل ان مصر حصرت نفسها بالقول بان عام ١٩٧١ يجب ان يكون عاما حاسما ، لان ما بقى من هذا العام اسابيع قليلة يستحيل فيها الحسم ، ان سلاما وان حربا ؟

وفي اى حوار ، ومهما بدت الاسئلة فيه مرهقة ، فانه لا مجال للغضب ، ذلك لان التحليل العلمى هو السلاح الوحيد فى الحوار ، كما ان الوقائع المحددة هى دون غيرها الذخيرة المؤثرة على الموقع الاخر

① كان السؤال الاول هو :
ـ هـل ان مصر الان على استعداد لقبول اى حل ؟
وقلت للسائلين فى كل مكان :
ـ ذلك ابعد الاشياء عن مصر وعـن اسـتعدادها وحتى عن مزاجها ، برغم كل المشاكل وكل الضغوط

ولكى لا ننسى فان علينا ان نتذكر استراتيجية مصر الشاملة حتى لا تلهينا الفروع عن الاصول تقوم اسـتراتيجية مصر على عنصرين :

◀ قواعد ثابتة . . .
◀ وخط للحركة . . .

□ اما القواعد الثابتة فهى ثلاث .

١ ـ مصر نفسها ، شعبها وجيشـها ، ايمانها وقدرتهـا ، دورها وقدرها

٢ ـ التعـاون المصرى السـوفيتى بغير حدود ، وبدون تحفظات

٣ ـ كل ما هو ممكن من طاقة الجهد العـربى العام مع تركيز خاص بالذات على الجمهـورية العـربية الليبيـة وهى ـ الى جـانب السـودان ـ العمق الاستراتيجى وراء ارض المعركة، ثم سوريا وهى الاحتمال الاساسى للعمل المؤثر من الشمال

□ اما خط الحركة فهو طويل: الامم المتحدة خصوصا بعد دخول الصين اليها ـ اوربا الغـربية خصوصا بدور فرنسا فيها ـ تيار الدول غير المنحازة خصوصا بدور تيتو النشيط فى وسطها ـ الدول الاسيوية والافريقية برغم متاعبها وقلاقلها ـ ثم الولايات المتحدة الامريكيـة بكل ما يمكن التاثير به على موقفهـا رغم التسليم الكامل بان مجال التاثير محـدود ومع العلم بان وسيلة

التاثير فى الموقف الامريكى هى الضغط عليه بكل قوة القواعد الثابتة فى الاستراتيجية المصرية والالتفاف من حوله بكل الامكانيات المتاحة من خط الحركة فى هذه الاستراتيجية المصرية

□

واذا كان ذلك تمثلا صحيحا للعنصرين الرئيسيين فى الاستراتيجية المصرية ـ اذن فاين نحن الآن ؟

□ **القواعد الثابتة الثلاث فى الاستراتيجية المصرية كما هى ، بل انها تزداد ثباتا مع مرور الايام وتكشف الحقائق :**

● الشعب المصرى اكثر ثباتا لان مطامع اسرائيل حتى فى ارضه لم تكن اوضح مما هى الان

● التعاون المصرى السوفيتى اكثر ثباتا بعد ما مر به من تجارب ودراسات صريحة حول هذه التجارب كانت آخرها فى موسكو يوم ١١ اكتوبر الاخير

● طاقة الجهد العربى اكثر ثباتا بقيام اتحاد الجمهوريات العربية وبكل محاولات توسيع نطاق المشاركة فى المعركة وهى محاولات مازالت تجرى ـ بعضها حقق نتائج وبعضها الاخر مازال غير ميئوس منه بالكامل خصوصا عندما تجىء لحظات تحديد المواقف

المعضلة على اية حال ليست الان فى القواعد الثابتة وانما هى فيما يليها من خط الحركة

□ **بالنسبة لخط الحركة فان مصر سارت شوطا طويلا عليه**

١ ـ قبلت قرار مجلس الامن [**وكان ذلك اهم وسائلها لتاخذ الامم المتحدة معها ـ وهذا تحقق**]

٢ ـ قبلت بدور يقوم به الاربعة الكبار فى مجلس الامن بوصفهم المسئولين عن تنفيذ قراره [**وكان ذلك اهم وسائلها لتاخذ موقف فرنسا معها وحتى يستطيع موقف فرنسا ان يكون فعالا فى تحريك موقف اوربا الغربية كلها ـ وهذا تحقق**]

٣ ـ ردت بالايجاب على ما طلبه السفير جونار يارنج ـ المكلف بمتابعة تنفيذ قرار مجلس الامن ـ منها بتاريخ ٨ فبراير ١٩٧١ [**وكان ذلك اهم وسائلها لتاخذ معه تاييدا عريضا لموقفها يمتد اثره الى كل التيارات والقارات ـ وهذا تحقق**]

٤ ـ خطت قبل ذلك ، وبعد ذلك ، خطوتين محددتين فى مواجهة الموقف الامريكى الذى لا مجال لانكار اهميته بالنسبة لموقف اسرائيل

... اعتمادا على قوة القواعد الثابتة الثلاث فى الاستراتيجية المصرية وقدرتها على الضغط ..

... واعتمادا من ناحية اخرى على النشاط المتزايد فوق خط الحركة فى الاستراتيجية المصرية وقدرته على الالتفاف ...

... اعتمادا على هذه المؤثرات ، خطت مصر خطوتين :

● **قبل جمال عبد الناصر بمبادرة تقدم بها وزير الخارجية الامريكية ويليام روجرز اساسها تنفيذ قرار مجلس الامن**

● **ثم قدم انور السادات مبادرة جديدة هدفها تسهيل البدء فى تنفيذ قرار مجلس الامن وهي المبادرة التى عرضت فتح قناة السويس للملاحة العالمية فى مقابل مرحلة اولى من الانسحاب الاسرائيلى**

واضطرت الولايات المتحدة الامريكية تحت قوة الضغط وامام خطر الالتفاف ان تخرج الى العلن وكانت زيارة وزير الخارجية الامريكية لمصر فى ٤ مايو من هذا العام

وكان خروج الولايات المتحدة الى العلن مكسبا على اية حال كانت قولا وعملا امام ضرورة ممارسة البحث عن حل : اما ان تصل فيه الى شيء ، واما ان تنتهى منه الى كشف نفسها ، ويستوى فى ذلك ان يكون ما ينكشف هو سوء النية او التسليم بالعجز

□

وكان من تاثير محاولة الولايات المتحدة ان تحددت المواقف بطريقة لا تدع لاحد ــ مهما كان ــ مجالا لشك من اى نوع

تحددت المواقف على النحو التالى :

● **مصر تريد** قرار مجلس الامن وخطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧

ــ **اسرائيل ترفض** اى ذكر للقرار او للخطوط

● **مصر تطلب** مرحلة اولى من الانسحاب مرتبطة بالانسحاب الكامل

ــ **اسرائيل تتحدث** عن اتفاق لقناة السويس محصور فى هذا النطاق

● **مصر تصر** على عبور قواتها الى سيناء

ــ **واسرائيل تعتبر** ذلك امرا لا يحتمل حتى مجرد المناقشة

● **مصر تقبل** وقفا محددا لاطلاق النار

ــ **اسرائيل تريد** ما يكاد يكون خطا جديدا للهدنة على بعد بضعة كيلو مترات شرق قناة السويس

كان كل بند فى الموقف المصرى معقولا

وكان كل شيء في الموقف الاسرائيلي غير معقول

وفي بداية المحاولة الامريكية، جربت الولايات المتحدة ان تضغط على اسرائيل .

ولكن المحاولة الامريكية انتهت بضغط من اسرائيل اقوى على الولايات المتحدة الامريكية

... او هكذا ظهر !

وبدت الولايات المتحدة الامريكية في لحظة من اللحظات شديدة الارتباك

لا هي على استعداد لكشف سوء نيتها

ولا هي على استعداد للتسليم بعجزها

ثم وجدنا انفسنا امام المناورة الامريكية الاخيرة التي تسببت في هذا السؤال المطروح :

● هل ان مصر الآن على استعداد لقبول اى حل ؟

□

ان المناورة الامريكية الاخيرة تتلخص في عرض باجراء اتصالات في نيويورك يقوم بها مساعد وزير الخارجية الامريكي جوزيف سيسكو

يكون هناك في نيويورك مبعوث مصري خاص ، ويكون هناك في نيويورك مبعوث اسرائيلي خاص ، ويتحرك سيسكو بين الاثنين .

وذلك شيء يصعب ، بل يستحيل القبول به لعدة اسباب:

١ ــ ان ذلك لن يضيف جديدا الى الموقف لان الولايات المتحدة الامريكية تعرف فعلا مواقف كل الاطراف وليس هناك شيء يمكن أن تعرفه في نيويورك ولا تستطيع الحصول عليه سواء من القاهرة او من تل ابيب

٢ ــ ان هذه عودة الى صيغة رودس مع استبدال رودس بنيويورك

٣ ــ ان هذه الصيغة اسوا من صيغة رودس فهي لا تجري تحت اشراف يارنج ــ وهو اقتراح رفضته مصر من قبل ــ وانما وهذا اسوا السوء فان المحاولة تجري تحت اشراف الولايات المتحدة

٤ ــ ان معنى ذلك ان اى حل ــ على فرض امكانية الوصول الى حل في نيويورك ــ سوف يكون حلا امريكيا يلغي قرار مجلس الامن ويعزل الدول الاربع الكبرى ويدفن الى الابد مهمة يارنج

٥ ــ ان المسالة في النهاية او في الصميم لن تكون الا محاولة امريكية لكسب وقت يغطي

الارتباك الامريكى ويسمح له بالفرار دون تحديد : يتكشف به سوء النية او تظهر بعده قلة الحيلة

مؤدى ذلك وملخصه ان الولايات المتحدة فى عدم رغبتها او عدم استطاعتها الضغط على اسرائيل بسبب موقفها غير المعقول تستعيض عن ذلك بالضغط على مصر رغم موقفها المبالغ فى معقوليته

فوق ذلك فان الولايات المتحدة الامريكية تغطى هذا كله بسحابات من دخان التفاؤل بامكانية الوصول الى حل ...

تفاؤل لا يقوم على اساس ، ولكنه مع الاسف يملأ الجو .. تصادما مع الحقائق الموضوعية ـ بان مصر على استعداد لقبول اى حل ! »

② كان السؤال الثانى هو :

ـ هل ان شعب مصر ليس على استعداد لمواجهة الخطر ؟

وقلت للسائلين فى كل مكان :

ـ ان هناك عاملا جديدا فى هذه المعركة وهذا العامل هو ان شعب مصر فيها يدافع عن ارضه فضلا عن اراض عربية أخرى تحت الاحتلال

ولا يستطيع هذا الشعب ـ سواء بوحى مبادئه او بمقتضيات امنه ـ ان يتجنب مواجهة الخطر مهما كان ...

واى عذر يمكن ان يكون له حتى لو صرفنا النظر عن وحى المبادىء ومقتضيات الامن ؟

ان هناك تعلتين ظاهرتين على السطح يمكن ان تخطرا على بال المستضعفين :

● التعلة الاولى ان يقال : ان الاتحاد السوفيتى لم يعطنا بما فيه الكفاية

وعلى فرض ان ذلك صحيح ـ مع انه فى الحقيقة غير صحيح ـ فان التعلة واهية فى الدفاع عن التراب الوطنى

● والتعلة الثانية ان يقال : ان بقية العرب لم يقفوا معنا بما فيه الكفاية

وعلى فرض ان ذلك صحيح ـ مع انه فى الحقيقة نصف صحيح ـ فان التعلة تبقى واهية ايضا فى الدفاع عن التراب الوطنى

وليكن جدلا ان الاتحاد السوفيتى لم يعط بما فيه الكفاية ، وان بقية العرب لم يقفوا بما فيه الكفاية ـ فان مسئولية الدفاع عن التراب المصرى تبقى مسئولية الشعب المصرى مهما كان حجم ما يعطى له ومهما كان عدد الواقفين من حوله

وفضلا عن ذلك فان مواجهة مصر لاحلامها الكبرى بعد الحرب ، سواء داخل الاطار المصرى او على الساحة العربية الواسعة ، تتوقف الى

ابعد حد على الطريقة التى ستخرج بها مصر من هـذه الحرب

واذا خرجت مصر ـ مهما تكن التضحيات ـ بما هو اقل مـن الحـد الادنى المطلوب لمبادئها وامنهـا ـ اذن فان المخاطر المنتظرة اكبر وافدح الف مرة من اخطار معركة مع اسرائيل مهما بلغت تكاليفها

③ كان السؤال الثالث هو :
ـ هل ان جيش مصر ليس جاهزا لتحدى القتال ؟

وقلت للسائلين فى كل مكان :
ـ لم يتعرض جيش فى الدنيا كلها ، وربما فى التاريخ بطوله ، لحمله من نوع مـا تعـرض له الجيش المصرى لهز ثقته بنفسه، وهز ثقة شعبه وامته به ، ذلك لان قوى عظمى عديدة لا تريد في هذا الجزء من العالم اداة قوة تحميه

لكن الجيش الذى بنى نفسه من حطام هزيمة سنة ١٩٦٧ ، بل وكان يحارب باشلائه ذاتها فى أعقاب هذه الهزيمة ـ لا يمكن ان يفقد الان وبعد اكثر من اربع سـنوات من العـرق والدم ، عزيمته ومضاءها

ان مقدرة اى جيش تتحدد فى المعركة بثلاثة عوامل :

- عدد الرجال ونوعية الرجال
- حجم السـلاح ونوعية السـلاح
- ثم الروح المعنوية وهى بغير شك اهم العوامل

وفى العوامل الثـلاثة فـان الجيش المصرى الان فى افضل وضع كان فيـه طـول حياته ، وصحيح ان امامه عـدوا ليس بالهين ولا بالضعيف كما انه عدو مسلح باحدث ما وصـلت اليه التكنولوجيا الامريكية ـ ولكن هذا الجيش المصرى بقيـادة واعيـة وبتخطيط سليم يستطيع ان يكبد عدوه مـن الخسـائر مالايطيق تحمله مهما كانت تضحيات هذا الجيش نفسه خصـوصـا وان الصيحة الكبرى هى : ان التراب المصرى فى خطر »

وكان السؤال الرابع هو :
ـ هل ان مصر حصرت نفسها

بالقول بان عام ١٩٧١ يجب ان يكون حاسما ؟

وقلت للسائلين في كل مكان :

ـ ان احدا لم يكن يتصور الحسم بمعنى بلوغ النتيجة النهائية سلما او حربا

ان الحسم هو حسم القرار

واذا لم اكن مخطئا فان الحسم وقع فعلا على الاساس الذى تمليه مبادىء مصر ، وتفرضه مقتضيات امنها ، واما التوقيتات فهى مرهونة بشىء آخر تخضع له التواريخ المحددة ولا يخضع هو للتواريخ المحددة »

. . . . .

. . . . .

وتمضى احاديث السفر

محمد حسنين هيكل